قربان التاريخ.. شهادة حية لشاعر عراقي عاش التحولات المأساوية في الحياة العراقية المعاصرة.. شهادة تأرجحت بين قيام الدكتاتورية وهيمنتها على مجمل مفاصل الحياة والفكر بقوة الحديد والنار وبين سقوط رمز هذه الدكتاتورية وصنمها.هذا الكتاب يوميات مراقبة للقمع والمصادرة والموت مثلما هي رصد لحركة الشعر والفكر.هي قراءة امتزج فيها السياسي بالشعري. عبر يوميات قامت بوصف ومن ثم فهم حوادث مأساوية اشبه بفصل كابوسي من رواية دموية حدثت في عالم آخر غير عالمنا.

المدى الثقافي

قربان التاريخ
العراق من لهب العقل الى رماد النفط

صلاح حسن

الفصل الثاني

١

العراق والمعادلة الصعبة: الاحتلال او الحرب الاهلية !

هذه هي المرة الثانية التي ازور فيها العراق بعد مرور سنة على كارثة الحرب والاحتلال. وبسبب المضايقات التي واجهتها في السفرة الاولى على الحدود الاردنية العراقية.. قررت ان اسافر هذه المرة عبر سوريا. لم تكن الامور سهلة كما توقعت، بل كانت اكثر ازعاجا واثارة للاعصاب.. اسئلة كثيرة في المطار، تأخير على الحدود غير مبرر.. وفي كل مرة كان علي ان ادفع ضرائب اضافية.. مرة للسائق واخرى للشرطة وثالثة للتحذير من الاصابة بالايدز. (عشر سنوات مرت دون ان يتغير شيء في سوريا ، كأن الزمن ثابت هناك مثل حجر معلق بالعدم). استغرقت الرحلة من دمشق الى بغداد ثلاثا وعشرين ساعة، تعطلت السيارة خلالها ثلاث مرات (الفارق الوحيد بين الحدود العراقية - الاردنية والحدود العراقية - السورية هو الخضرة، خضرة حقول القمح والشعير، فقد كانت تمتد على جانبي الطريق حيث الفلاحون والانهار الصغيرة والحيوانات والاكواخ البعيدة ، بينما على الحدود الاردنية لايصادفك غير الصحراء والبدو والفراغ الذي يوحي بموت الجغرافيا) .

كان اخطر العطلات في مدينة تكريت مسقط رأس الطاغية ، وكانت الساعة تشير الى العاشرة والنصف ليلا . كان الخطر مزدوجا بسبب حظر التجوال . كنا نخاف من ان تصادفنا دورية امريكية وتطلق علينا النار .. لان الامريكان يعتقدون ان كل من يتحرك في هذه المنطقة وفي مثل هذه الساعة هو من الارهابيين او من انصار الرئيس المخلوع . ومن ناحية اخرى كنا نخاف من الاقتراب من البيوت لان السكان سيظنون اننا طالبو ثأر او لصوص او ربما متعاونون مع القوات الامريكية .

لحسن الحظ كانت السيارة التي ترافقنا تقل عائلة مكونة من ابوين وطفلين صغيرين. اقترحت على السائق ان يقوم الاب، يرافقه احد الاطفال بالاقتراب من احد المنازل وطلب المساعدة . صمت الرجل الشاب للحظة وهو ينظر الى طفليه النائمين، ودون ان يقول شيئا حمل احد اطفاله بهدوء ووضعه بين ذراعيه ووقف امامنا وكأنه في محراب ويستعد لتقديم قربان. كانت زوجته تحتضن الطفل الاخر الذي انحنت فجأة عليه كأنها تريد اخفاءه. قال السائق ارجو ان تبقوا هادئين. ثم سار برفقة الرجل بأتجاه المنزل. كانا يسيران ببطء في ذلك الظلام كشبحين عجوزين. و قبل ان يقتربا من الباب الخارجي للمنزل بقليل اطل من سطح المنزل رأسا رجلين وهما يسلطان فوهتي بندقيتيهما. ثم خرج ثالث من الاسفل وصاح: من هناك؟؟

بادره السائق الذي يقف الى جوار الاب وطفله النائم بصوت مرتعش.. لقد تعطلت سيارتنا ونحن بحاجة الى الماء ؟ اضيئت بعض الانوار الخارجية واصبح بأمكان اصحاب المنزل رؤية الواقفين في الخارج. تقدم الرجل بحذر وهو يسلط ضوء المصباح اليدوي على الرجلين. وحين رأى الطفل ابعد المصباح ونادى احد اخوته طالبا منه ان يحضر ماء للشرب، ثم فتح الباب دون ان يخرج .

بعد ثوان قليلة جاء رجل يحمل الماء وتبعه اخر وهما ينظران في كل الاتجاهات والارتباك باد على حركاتهما المتوترة . كانوا يوجهون اسئلة كثيرة الى السائق لمعرفة العطل الذي اصاب السيارة التي يتصاعد من محركها الدخان، قبل ان يسمحوا له بأيقافها قرب المنزل. اخيرا، وبعد ان تأكدوا من كل شيء طلبوا منه ان يوقفها بالقرب من صنبور الماء وراحوا يساعدونه في تبريد المحرك.

كان الوقت يمر، وكانت كل دقيقة تنقضي تزيد من حجم المخاطر المحتملة. وكان يأسنا ينمو مع الدقائق الميتة وصبرنا يتطاير كدخان السيجارة الاخيرة .

بعد ساعة من الترقب وفقدان الاعصاب استطعنا اصلاح السيارة وانطلقنا من جديد باتجاه بغداد. كان الطريق مظلماً وخالياً يثير الوحشة والرعب، وكنا متعبين وجائعين وخائفين وعلى وشك الاغماء. ولان فرصتنا بالنجاة بدأت تتضاءل، فقد اخرجت قنينة الويسكي وبدأت اشرب بانتظار الصدمة القادمة. كان صديقي الشاعر موفق السواد الذي يشاركني في السيارة صامتا، وقد تحولت عيناه الى زجاجتين معتمتين، لقد حوله الخوف الى تمثال ميت لشخص حي. (في الزيارة الاولى تعرضت الى عدة اخطار كادت تودي بحياتي قررت بعدها ان لا ازور العراق مرة اخرى مهما كلف الامر. ولكن الكتب التي جمعتها لجامعة البصرة والتي ستصل بعد ايام الى ميناء ام قصر هي التي اجبرتني على العودة مرة اخرى).

ابطأت السيارة بشكل مفاجئ امام بعض الحواجز الكونكريتية وتبين وجود نقطة تفتيش. قال الشرطي: من اين انتم قادمون؟ من سوريا، اجاب السائق. فهرع شرطي اخر وطلب تفتيش السيارة .. فقلت وانا اوشك على البكاء والندم يمزق صوتي.. نحن قادمون من هولندا، ومددت له جوازي الهولندي. القى عليه نظرة سريعة وقال: رافقتكم السلامة.. انتبهوا جيدا فالطريق ليس آمناً في مثل هذه الساعة.! يالها من حكمة عظيمة متأخرة.

كنت اتخيل بغداد امرأة طعنت بعدد هائل من السكاكين والدماء تنزف من جراحها الكثيرة وانها ستموت وحيدة في عراء الليل. ولكن بغداد كانت مخيفة.. دخلناها بقلوب مخلوعة.. بغداد مخيفة حتى وهي شبه ميتة.. مخيفة وهي نائمة... ولا احد يعرف ماذا سيحدث اذا استيقظت!

نحن الان في منطقة الصالحية في قلب بغداد الصامتة كمقبرة والساعة تجاوزت الثانية ليلا والسائق يرفض ان يوصلنا الى المنزل .؟ قال اذهبوا الى الفندق؟؟ فقلت: حسنا.. اوصلنا الى اي فندق قريب! قال: لا توجد هنا اية فنادق! ما العمل اذن؟ قال: لا اعرف!

طيب.. اوصلنا الى اقرب مركز للشرطة، ليس من المعقول ان نبقى هكذا في هذه اللحظات الحرجة! قال: (اخرأ بهذه الشغلة) اصعدوا.. هي مجازفة.. لقد حذرتكم.. اصعدوا. وانطلق سريعا يبحث عن مركز للشرطة. بعد سبع دقائق بالتحديد توقف قرب مركز شرطة. الدورة.. على الرصيف الاخر من الطريق كي لا يثير الشرطة المذعورة من السيارات المفخخة.

انتشر عدد كبير من الشرطة وهم يحركون اسلحتهم في الهواء. بادرتهم بالسلام وقلت بسرعة انني صحفي قادم من هولندا كي لا استفزهم وبقيت في مكاني حتى سمحوا لي بالاقتراب. اخبرتهم ان سيارتنا تعطلت عدة مرات فوصلنا متأخرين. كما اخبرتهم ان منزلنا غير بعيد من هنا ولكن السائق يرفض ان يوصلنا خوفا من قطاع الطرق.

اتصل احد الضباط عن طريق اللاسلكي بالمسؤول الامني فوافق على تسيير ثلاث سيارات شرطة معنا فكدت اصرخ من الفرح. سارت امامنا سيارتان واخرى خلفنا حتى باب المنزل. وقبل ان نترجل من السيارة طالبني احد الضباط بـ (الاكرامية) مضيفا.. انهم عرضوا حياتهم الى الخطر وهم يرافقوننا . انه يعني بذلك ان الاكرامية يجب ان تكون مجزية. اعطيتهم ما كان عندي من نقود صغيرة.. اثني عشر دولارا وعشرة ايرو ولم تكف.. وعندما استيقظ اولاد اختي طلبت منهم ان يقرضوني عشرة الاف دينار عراقي وضعتها في يد الشرطي وانا اشكره من اعماق قلبي المخلوع.

نفايات.. نفايات

في اليوم التالي استيقظت متأخرا. (في ساعات الصباح الاولى سمعت العديد من الانفجارات ، كنت اظن انني احلم). وبعد ان استحممت شعرت بالنشاط فقررت القيام بجولة في مدينة الدورة البعيدة عن مركز بغداد. كانت المساحات الخالية والمحاذية للشوارع مليئة بالنفايات، والشوارع مليئة بسيارات تطلق سموما تغطي سماء بغداد بغيمة سوداء كثيفة. المواطن العراقي يستنشق كل يوم كمية من السموم كفيلة بجعله يسعل طيلة حياته القصيرة. اما الامريكان فيجوبون شوارع بغداد جيئة وذهابا. وعندما يحدث انفجار في مكان ما يهرعون بدباباتهم وآلياتهم الى المكان تسبقهم طائرات الاباتشي. كثيرا ما تتعرض الارتال الامريكية الى الهجمات على الطرق السريعة التي تربط بغداد بالمدن الاخرى. اقسى هذه الهجمات حدثت بين طريق بغداد - بابل. وقد رأيت شخصيا عدد الاليات المدمرة عندما كنت ذاهبا الى مدينة بابل. كانت هناك اكثر من احدى عشرة ناقلة مدمرة ومحروقة تماما مع كل ما تحمله من دبابات وجنود. وفي المؤتمر الصحفي الذي عقده قائد القوات الامريكية في بغداد قلل من حجم الخسائر واشار الى حرق ناقلتين ومقتل اربعة جنود. غير ان حجم الخسائر الحقيقي - كما اشار الى ذلك سكان المنطقة - تجاوز الخمسة وعشرين قتيلا امريكيا.

امضيت يوما كاملا في مدينة بابل التي لا تزال الاكثر امنا في العراق باستثناء حادثة التفجير الوحيدة التي اصابت عددا كبيرا من البيوت. ويروي سكان المدينة قصة غريبة عن الحادثة. يقولون ان الانفجار الذي حدث لم يكن وليد سيارة مفخخة كما تدعي القوات البولندية، بل هو صاروخ ارض - ارض اطلقته القوات البولندية على البيوت التي تحاذي مقراتها في محاولة لاجلاء السكان من المنطقة. والشخص الذي كشف هذه الحقيقة - وهو ضابط سابق - اعتقلته القوات الامريكية ولم يعرف مصيره حتى الان .

عندما عدت الى بغداد لم اجد أي اثر للآليات الامريكية المدمرة. فقد قام الامريكيون بنقلها الى معسكراتهم.. كما قاموا بتنظيف المكان وكأن شيئا لم يحدث. بالمقابل كنت ارى الكثير من الشاحنات الكبيرة المحملة بالرمل الاحمر تتجه الى مطار بغداد. وعندما سألت عن الامر قالوا انها تشحن الى امريكا والسبب كما يقولون ان الامريكان وجدوا ان الرمل الاحمر يحتوي على معادن جديدة غير معروفة سابقا. حاولت ان اهرب من هذه الاخبار العجيبة فاتجهت الى اقرب مقهى انترنيت لتصفح بريدي الالكتروني. وجدت رسالة من زميلتي الهولندية (باشيا دي ليفده) تخبرني فيها ان الباخرة المحملة بالكتب الى جامعة البصرة قد انطلقت من ميناء روتردام وستصل يوم الخامس والعشرين من ابريل الى الكويت ، وبعد اسبوع ستدخل الى ميناء ام قصر في البصرة. وسيقوم الجنود البريطانيون بنقلها الى قاعدة الشعيبة العسكرية، ثم الى الجامعة.

كانت اخبارا مفرحة ومشجعة على تحمل الاخطار.. خصوصا وانني ذاهب الى البصرة في اليوم التالي للمشاركة في مهرجان المربد الشعري.

كان على الشعراء ان يتجمعوا في مقر اتحاد الادباء والكتاب حيث ستنطلق ثلاث باصات كبيرة الى البصرة. في الباص التقيت بعدد من الاصدقاء الذين لم ارهم في الزيارة السابقة فكانت مناسبة لسماع الكثير من القصص الغريبة التي يعج بها المشهد العراقي. وكان لحضور الصحفي الهولندي (يو فان در سبيك) معنا والذي اختار اسما عربيا له هو عزيز، مذاق خاص بابتسامته التي لم تفارق وجهه وهو يحاور الجميع ويجري معهم الحوارات الاذاعية. (يو) الذي كان ينوي كتابة ريبورتاج عن نهر دجلة من منبعه الى مصبه.. كان يعرف حتى الاغنيات التي تغنت بالنهر. لقد اصبح بسرعة صديقا للجميع وكانت سعادته لاتوصف عندما يناديه الاخرون باسمه العربي (عزيز) .

قبل ان نصل الى البصرة فاجأتنا نيران كثيرة تنبثق من جوف الارض، كانت تضفي على المساحات الفارغة هالة من الضوء بدت اشبه بلوحات كلاسيكية كبيرة معلقة في الفضاء. انها حقول نفط البصرة! وبعد قليل كنا رأينا الكثير من الاكواخ الصغيرة وعلى اسطحها الصحون اللاقطة (الستلايت). صديقي البصري الذي يجلس الى جواري احس بحيرتي بادرني قائلا: هؤلاء هم (الغرامشة) سكان الاهوار الذين نزحوا من مناطقهم بعد ان جفف الدكتاتور مساحات شاسعة من الاهوار فقاموا ببناء هذه الاكواخ على اطراف المدينة والعيش فيها. وبعد سقوط صدام بدأوا يزحفون على المدن واصبح كل شيء في طريقهم هدفا للسرقة.. حيث اصبحوا قوة مخيفة بعد ان كانوا مهمشين ومسحوقين.

اول شيء فعلته بعد وصولي الى الفندق هو الاتصال بالدكتور عادل حميد المسؤول في جامعة البصرة وعضو الارتباط مع فريق العمل في هولندا. قال: كنت اتوقع ان تقوم انت بالكتابة الي وباللغة العربية. ولكنني كنت اتلقى رسائل من شخص يدعى (باشيا)!! فقلت له .. اعرفه بفريق عملنا في هولندا ان (باشيا دي ليفده) سيدة رائعة وهي التي تحملت العبء الاكبر من العمل. كما انها تعمل مديرة لمنظمة اللاجئين في مدينة (رايز فيك) التي ساهمت بلديتها في توفير المخازن لجمع الكتب . بالاضافة الى السيد (فان دي انده) الذي وفر علينا الكثير من الجهد بنصائحه العملية.. وانا كما تعلم من جمعية اور الثقافية التي تبنت مشروع الكتب الى جامعة البصرة. شعر الدكتور عادل بالراحة وانا اخبره ان عدد الكتب يتجاوز الخمسة عشر الف كتاب (٨٦٠٠ كيلو غرام)، وانها ستصل قريبا. قال: هذا شيء عظيم. اننا نشكر كل من ساهم في هذا الجهد الرائع.. ونشكر الشعب الهولندي الطيب على هذه الهدية العظيمة ونتمنى ان نعمل سويا في المستقبل مع الجامعات الهولندية. نحن جاهزون لاستقبال الكتب وقد هيأنا كل شيء من اجل ذلك.

أحـــــلام سرمديـــــة

شعر / محمد درويش علي

إلى الشاعر الراحل
عقيل علي بمناسبة موتك المزمن

يلوّح للفقر والثمالة في ساحة الميدان
يبتاع الاهمال من اصدقائه
يرنو إلى احلامه
يفقأ عيون المسافة التي توصله
إلى غرفته في فندق (الماس)
يرمي صحوه بين اعمدة شارع الرشيد
وينظر بحسرة إلى مقهى حسن عجمي
يتذكر ايادي كانت تلوح له
كان ذلك (فيما مضى)
قبل ان يثمل
قبل ان يستوطن في فندق (الماس)
الآن
يتذكر حسب
ينفجر مثل قنبلة
يوزع شظاياها على مريدي (شارع المتنبي)
يوم الجمعة
الآن حسب
عرف ان الطريق إلى الملائكة
يبدأ من الفنادق الرخيصة
والرسائل الرثة في صناديق بريد علاوي الحلة
الآن حسب
عرف ان العمر يتجاوز المعقول
والاولاد لا يأتون
والقصائد تثير الريبة
توغل في تلافيف المناهج الحديثة
وتهرب من صفحات الجرائد
لتولد في منأى عن العيون

❖❖❖❖

عندما جاء من الناصرية اول مرة
كاد يرمي بنفسه من نافذة القطار
حين رأى في الطريق الملاصق للسكة الحديد
امرأة تسجر تنورها
بكى
لم تتوقف دموعه
الا وملقط الخبز في يده في مخابز قنبر علي

❖❖❖❖

الثمالة تلمع في وجهه
وفي يده
وهو يسوق الايام لحتوفها
لم يعد يخاف شيئا
لم يعد يفرح لشيء
ليس له ما يربحه
خسر كل شيء
باع كل شيء
ازرار قميصه
بقايا عصا كان يغفو عليها
قدراً فيه سخام القرن العشرين
ومنشفة جاء بها من الناصرية

❖❖❖❖

آخر مرة رأيته فيها
كان وجهه خالياً من التعابير
سألته عن صورتي التي كانت معلقة في غرفته بالفندق
ضحك وحرك يديه علامة الـ (ما أدري)
وظل يداعب بأهماله لنفسه
سألته ثانية
كأنك على الموت مقبل
ماذا هناك؟
ضحك ثانية
(هسة) تدري؟!

ثلاث علامات في السينما الفلسطينية الجديدة

المؤلف : بشار ابراهيم
الناشر: دار المدى، دمشق ٢٠٠٥

يقدم هذا الكتاب قراءة نقدية مهمة لتجربة ثلاثة مخرجين فلسطينيين بارزين هم ميشيل خليفي، رشيد مشهراوي، وايليا سليمان معتبرا إياهم من رواد السينما الفلسطينية الجديدة عبر الرؤى المبتكرة التي عبروا عنها في أفلامهم، والنظرة المختلفة إلى وظيفة السينما ودورها لاسيما في مسار قضية شائكة ومعقدة وعادلة مثل القضية الفلسطينية التي احتلت تداعياتها، وهمومها، وإشكالياتها جانبا واسعا من اهتمام المبدع الفلسطيني في الشعر، والرواية، والتشكيل، والمسرح، والسينما.

صخب ونساء وكاتب مغمور

المؤلف : علي بدر
الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر
تاريخ النشر ٢٠٠٥

عالم صاخب من النساء والفنانين والشعراء المزيفين، الذين يتجمعون في أستوديو صغير في بغداد، حيث تدور أحداث حياة الكاتب المغمور، الذي يحلم بكتابة رواية يحصل من خلالها على المال والجوائز والنساء، ونتعرف من خلال هذا المكان على: سعاد التركمانية ممثلة الإعلانات الشهيرة، وتحولاتها من عشيقة لأحد كبار الضباط في حكومة الزعيم قاسم إلى عاهرة في الفنادق الرخيصة، وليد، الشاعر الفاشل، الذي يعيش على حساب الآخرين بمظهره الأرستقراطي الزائف، تمارى، بفضائحيتها وحركاتها الإيحائية، عباس الذي يتعرف على عيشة المغربية، ويعيش معها قصة حب صاخبة عبر الرسائل.

رواية تظهر التعدد المذهبي للإثنيات، واللغات التي تختلط في شارع واحد، وعلى خلفية حياة الناس نشهد ثورات الشيوعيين والقوميين، والانقلابات، والسجون، وصراع الفئات الاجتماعية فيما بينها.

الغرب بعيون عربية

نخبة من الكتاب
الناشر: مجلة العربي، الكويت ٢٠٠٥

يمثل هذا الكتاب إسهاماً متميزاً في واحدة من القضايا الحيوية التي تواجه عالمنا العربي في اللحظة التاريخية الراهنة والمتمثلة في علاقته مع الغرب. وإذا كانت هذه من القضايا التي شغلت اهتماماً كبيراً من الطرفين على مدى الحقب الماضية منذ بداية الاحتكاك العربي والإسلامي مع الغرب في بدايات القرن الثامن عشر، فإن أهمية التطرق لهذه القضية في الوقت الحاضر تنبع من أجواء الأزمة التي تحيط بهذه العلاقة في ضوء الاشتباك الحاصل على خلفية العديد من الأحداث.

الخطاب التاريخي دراسة لمنهجية ابن خلدون

المؤلف :علي أومليل
الناشر: المركز الثقافي العربي تاريخ النشر ٢٠٠٥

في هذا الكتاب يتوصل علي اومليل الى ان مشكل التاريخ يبدأ عند ابن خلدون من نقد جذري للخطاب التاريخي التقليدي، ولكنه ينطلق أيضاً من اهتمام بموقعه الشخصي من التاريخ. إن هذا هو مغزى النقد الخلدوني الذي اتجه إلى أسس علم التاريخ العربي... ومنهجه الأصلي، أي الإسناد الذي قام عليه التأريخ العربي الأول... الذي به تعرف الفترة-المثال في الذاكرة العربية الإسلامية. إن ابن خلدون يرفع مفهوم التاريخ إلى مستوى إنتاج التاريخ، لاسيما تنظير التاريخ العربي ظل متخلفاً عن مستوى إنتاجه. وبنقده لمنهج الإسناد قام بنقد التقليد، وبرد علم التاريخ إلى قوانين التاريخ والمجتمع (طبائع العمران)، أي أنه وضع حداً لاستنساخ لا ينتهي لأنماط السرد والخبر، وقرب الهوة بين "التاريخ" و"الخطاب عن التاريخ"...

نقد العقل الإسلامي عند محمد أركون

المؤلف : مختار الفجاري
الناشر : دار الطليعة للطباعة والنشر
تاريخ النشر٢٠٠٥

هذا الكتاب أول عمل مفرد بالكامل لدراسة مشروع محمد أركون، مفكر "اللامفكر فيه" في الفكر الإسلامي المعاصر، هذا المشروع الهادف إلى الخروج من إسار الدوغمائية المنغلقة على ذاتها، لتحرير النص المقدس وتحرير الإنسان المعني به أساساً في آن، وذلك من خلال سعيه إلى الكشف عن "المجال المعرفي الأصولي" (الابستيمي) الذي حكم العقل الإسلامي عبر العصور، وقنن ذلك الفكر داخل نظام محدد ومضبوط خضعت له بالضرورة جميع الأنشطة الذهنية على اختلاف مشاربها، معتمداً استفزازنا من خلال زحزحته حتى المسلمات والمحرمات من أساسها، ونبشه في أصولنا الفكرية والثقافية التي لا نزال نستلهم منها خلاصة مفاهيمنا فيما يتعلق بالوجود والعمل، لنكتشف معه تجليات إخفاقات عقلنا في التنمية والتقدم... الأمر الذي يتطلب في رأي المؤلف "ثورة" لا إصلاحاً، وقطيعة معرفية باتة وليس توالداً فكرياً مستنسخاً ومكروراً.

من المكتبة العربية